

القدس ومكانتها التاريخية الواقع السياسي والهوية الدينية للمدينة وتأكيدا في العهد الأموي

عبد الهادي العجمي

استاذ مساعد - قسم التاريخ - جامعة الكويت

الملخص

منذ أن كانت القدس وهي تشغل حيزاً ممتداً من التناول التاريخي في مختلف العصور التي مرت عليها بدءاً الفتح العربي لها، لاشك أن تاريخ القدس وعربيتها يرجعان لحقب تاريخية قديمة ضاربة الجذور لسنا بصدد مناقشتها، إلا أن أهمية هذه الدراسة تأتي في ضوء محاولات تعرف الواقع الحضاري لمدينة القدس ومكانتها التاريخية والهوية الدينية التي مثلتها للعرب المسلمين في العهد الأموي - خاصة عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) أحد أهم خلفاء بني أمية - بكل ما فيها من تشابكات وتداخلات سياسية وعسكرية ودينية، وعلى الرغم من المساحة المفتوحة لتناول مدينة القدس عبر محاور مختلفة فإننا حاولنا على أسس علمية بيان طبيعة اهتمام الدولة الأموية بالمدينة المقدسة وبرمزيتها الدينية والروحية والتاريخية، وهو ما جعلها تنفرد وتتميز عن غيرها من المدن المقدسة في العالم، فكان هذا التفرد سبباً في صراع عقائدي وحربي منذ الفتح العربي لها حتى الحروب الصليبية؛ وها هو يتكرر بوقتنا الحاضر، غير أن الإرث الحضاري للقدس العربية مازال إرثاً إسلامياً خالصاً.

وقد قسم البحث إلى قسمين: القسم الأول - وهو القسم الرئيسي - خصص لدراسة تاريخ المدينة وعربيتها وأهم الوثائق التاريخية التي أعطيت لها وحضرها معاوية بن أبي سفيان، (41-60هـ/661-680م) الذي أخذ البيعة فيها وسماها بالأرض المقدسة.

والثاني أفرد لدراسة وضع المدينة وهويتها ومكانتها التاريخية وأهم ولائها وتقسيماتها الإدارية، خاصة أن الأمويين قد انفردوا عن غيرهم بالتمسك بالهوية العربية التي سعوا من خلالها ومنذ وقت مبكر لدفع عملية البناء الحضارية للمدينة العربية المقدسة فكرياً ومعمارياً وإدارياً، بل إن بعض المؤرخين حاولوا إيجاد التسوية لبناء مسجد قبة الصخرة، وقد ربطوا ذلك بالحكم والخلافة، كما يناقش البحث أيضاً وضع الطوائف الدينية وسياسة الإسلام الواضحة تجاه الأقليات غير المسلمة من رعاية حقوقهم والتعامل الحضاري والإنساني تجاههم بالعدل والتسامح.

«قدمتم الأرض المقدسة أرض المحشر والمنشر وقبور الأنبياء»

«معاوية بن أبي سفيان»

المبحث الأول

القدس - الأصل والهوية - عروبة أبدية

حملت مدينة القدس⁽¹⁾ العربية (إيلياء)⁽²⁾ عبر تطورها التاريخي، وصولاً إلى عصرنا الحاضر خصوصية تاريخية جعلها إحدى أهم المدن الإسلامية وأبرزها على ظهر الأرض، متفردة بقدسية خاصة دون سواها؛ فهي المدينة المقدسة لأصحاب الديانات الثلاث - الإسلام والمسيحية واليهودية - على الرغم من أن هذه القدسية ما زالت سبباً في الصراع بينهم حتى اليوم.

والحقيقة أن الباحث في تاريخ المدينة ونشأتها وتعرف خصائصها يحار في أسباب هذا التفرد العميق الدلالة وهذه الظاهرة الحضارية لها دون سواها من بقية المدن، فعلى الرغم من كل ما حل بها - عبر تاريخها الطويل - من نكبات وحروب أدت إلى هدمها وضياع معالمها في الكثير من المرات بلغت أكثر من ثماني عشرة مرة⁽³⁾ فإنها مازالت خالدة تخرج من كل عشرة أكبر وأعظم من سائر أسلافها، لذا لن نكون مبالغين إذا قلنا: إنه ما من رقعة أو قطعة في مدينة القدس إلا شهدت ربوعها معركة تاريخية خرجت منها كعادتها متجلية متألفة، شاهدة على قوتها وعنوانها ومعطياتها الحضارية.

ولا شك أن الباحث في تاريخ القدس التي تحوي في طياتها صراعاً مريراً بين أصحاب الديانات السماوية الثلاث يلحظ أنها مازالت قبلة ورمزاً من رموز كل ديانة على السواء، وإن كانت دراستنا هذه لن تناقش أسباب أهمية المدينة من الناحية الدينية والروحية للمسلمين وغيرهم أو تأكيد عروبته - لأنها ليست في حاجة للتأكيد - إلا أننا وفي سياق التسلسل التاريخي نعرض بعضاً مما جاء في أزلية عروبة القدس وانتمائها العربي.

فقد قامت القدس في البدء على الطرف الجنوبي الشرقي من جبل موريا بفلسطين، وكان سكان سوريا وفلسطين في تلك الفترة من العموريين⁽⁴⁾، وهم أول القادمين إلى بلاد

الشام من العرب⁽⁵⁾، ومن ثم نرح إليها الكنعانيون واليبوسيون⁽⁶⁾ وبعض بطون العرب الأوائل من الجزيرة العربية⁽⁷⁾، فقاموا على تطويرها وتطوير بنيتها الثقافية والدينية، لذا فقد سادت ثقافتهم وديانتهم ولغتهم وأشكال حياتهم المدنية لفترة طويلة من الزمن ولا أدل على هذا من أن الأسماء العربية المتعددة التي أطلقت على مدينة القدس العربية كانت هي الأبرز وما زالت ملتصقة بها حتى وقتنا الحاضر، وقد يكون من أقدم هذه الأسماء اسم (مدينة السلام)، الذي أطلقه عليها الكنعانيون⁽⁸⁾ قبل 5000 عام ق. م عندما استقروا بها وعمروها⁽⁹⁾، ليتقل اسم المدينة بعد ذلك عن طريق العرافين الذين ذكروه باسم أور وسالم⁽¹⁰⁾، ومن ثم تعددت أسماء المدينة إلى ييوس نسبة إلى سكانها من اليبوسيين⁽¹¹⁾، وكذلك المدينة، وإيليا كابتولينا، وإيليا - التي غير اسمها إليها هدريان الروماني⁽¹²⁾ - وبيت المقدس، والقدس الشريف، ودار السلام، والقدس، وغيرها من الأسماء⁽¹³⁾ وقد عرف من ملوك القدس اليبوسيين سالم اليبوسي وملكلي صادق⁽¹⁴⁾ وأدونى بازان⁽¹⁵⁾، واستمر الاسم الكنعاني يطلق على مدينة القدس منذ من 3000 ق. م⁽¹⁶⁾، إلا أنها بعد ذلك خضعت للحكم الفرعوني المصري في عهد تحتموس الثالث في نحو 1479 ق. م⁽¹⁷⁾ وأمنحوتب 1413 ق. م، وإخناتون 1375 ق. م وتوت عنخ آمون 1351 ق. م وسي تي الأول 1314 ق. م، ورعمسيس الثاني 1292 ق. م وكان المصريون يطلقون عليها (يايشي)، وهو مشتق من الاسم اليبوسي لها⁽¹⁸⁾ إلا أنه عند نحو 1000 ق. م⁽¹⁹⁾ وتمكن داود - عليه السلام - من الاستيلاء على المدينة غير اسمها إلى (مدينة داود)⁽²⁰⁾ لتخضع لنفوذ سياسي يهودي عارض لم يدم أكثر من ثلاثة وسبعين عاماً تقريباً⁽²¹⁾.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن بني إسرائيل وبعد موت يوشع بن نون الذي تولى الحكم بعد موسى - عليه السلام - حاولوا احتلال مدينة القدس وزحفوا إليها تحت قيادة يهوذا، فاستطاعوا أن يدخلوها وأضرموا النار فيها غير أنهم وتحت ضغط اليبوسيين لم يستطيعوا المكوث فيها لفترة طويلة من الزمن⁽²²⁾.

والحقيقة أن دخول بني إسرائيل للمدينة وما صاحبه من أعمال عنف أو غيرها لم يهم المؤرخين قدر اهتمامهم بعملية سقوط القدس تحت نفوذ سياسي مغاير لطبيعة المدينة العربية وسكانها الأصليين، خاصة المقاومة من قبل اليبوسيين الذين تصدوا لمحاولات التغيير المجتمعي من قبل العبرانيين الذين اضطروا في النهاية إلى اقتباس

الكثير من مناهج الحياة المختلفة التي كانت تحياها المدينة العربية وسكانها من اليوسيين، فسكنوا البيوت وخلعوا الجلود التي كانوا يلبسونها تحت حكم داود الذي توفي عام 1015 ق. م وابنه سليمان⁽²³⁾ الذي مات نحو 975 ق. م لتتقسم المملكة لشطرين (يهودا وإسرائيل)، فاستغل فرعون مصر الوضع المنقسم بين المملكتين وزحف على المدينة محتلاً لها في عام 970 ق. م.

كما نلاحظ أن الحقبة من الخضوع للنفوذ السياسي للعبرانيين للمدينة العربية لم تشهد سوى وجود ملكين كبيرين فقط هما النبي داود وابنه سليمان⁽²⁴⁾، وبوفاتهاما تمزق هذا النفوذ وانتهى شكل المملكة الذي لم يدم ككيان مستقر لأكثر من نحو 70 عام، منقسماً بعدها إلى نفوذين منفصلين يناصبان بعضهما العداء، وهما إسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب. كذلك لم تنقطع الثورات والغارات على هذا النفوذ العارض للعبرانيين من الشعوب والقبائل العربية التي لم ينقطع وجودها عن أرض المدينة شاهدة على أن هذا الوجود العارض لم يكن أبداً جزءاً من تاريخ المنطقة ولا سكانها.

وفي سنة 586 ق. م تقريباً⁽²⁵⁾ دخلت القدس تحت الحكم الفارسي عندما احتلها نبوخذ نصر⁽²⁶⁾، الذي أقبل حتى ورد المدينة، فدخلها وهدم ونقض المسجد الذي كان قد بناه داود وابنه سليمان، عليهما السلام⁽²⁷⁾، وعاد راجعاً إلى العراق، ناقلاً بعض السكان اليهود ممن بقي إلى بابل⁽²⁸⁾ وهو خراب بيت المقدس المشهور في التاريخ، كما يذكر ذلك ابن كثير في السيرة النبوية⁽²⁹⁾، إلا أن كورش⁽³⁰⁾ الملك الفارسي الذي تولى العرش سنة 538 ق م، أذن لمن تم أسره من العبرانيين بالعودة، ومع ذلك لم يستطع العبرانيون بعد ذلك من استعادة نفوذهم السياسي بل ظلوا يعيشون كطوائف دينية يرأسها بعض الكهان وظلوا كذلك مدة من الزمن⁽³¹⁾، ليأتي اليونانيون تحت قيادة الفاتح المقدوني الإسكندر في عام 332 ق. م⁽³²⁾ ليحتلوا المدينة، وبدخول القدس تحت النفوذ اليوناني انتهى اسم مدينة داود ليعود إليها اسمها الكنعاني القديم (القدس) أو أورشاليم أو بيت المقدس، وينقطع بدخول اليونان أي نفوذ يهودي، بعد أن انتقلت سيادتها سياسياً إلى المحتلين الجدد الذين استطاعوا المحافظة على وجودهم هناك فترة قاربت ثمانية عشر قرناً متواصلاً من الزمان، حتى إن الكثير من المصادر التاريخية لم

تشر إلى أنه بعد عام 135م سكن اليهود كشعب أو عرق المدينة، ولم تتطرق كذلك المصادر لأي نفوذ أو هوية يهودية للمدينة، لتقطع بذلك صلة اليهود بها⁽³³⁾ بعد أن انتشر العنصر اليوناني في البلاد بكثرة، وامتزج اليونانيون بسكان المدينة وقراها الأصليين، وانتشرت كذلك لغتهم وصناعاتهم وامتدت الحضارة إلى المدينة وربوعها ذات الطابع اليوناني بعيداً عن أي تأثير حضاري آخر.

وفي عام 63 ق. م دخلت روما في أمر التناحر بين المكابيين الذين سيطروا على مقدرات المدينة فترة من الزمن، فجاء الرومان واحتلوها بعد حصارها مدة ثلاثة شهور لتدخل في عهدهم بعد أن ظلت السيادة على المدينة متأرجحة بين ملوك الدويلات التي كانت أغلبها في حروب ومناوشات دائمة⁽³⁴⁾. ولقد ترك الرومان في مدينة القدس التي سميت (إليا) وغيرها من البلدان كثيراً من آثار العمران والمعابد والحصون والجسور والسدود، لتخضع بعدها للحكم البيزنطي نحو عام 330م، إلا أن السقوط الثاني لها في قبضة الفرس في عام 614م قضى على البقية الباقية من أغلب الآثار الحضارية للرومان واليونان⁽³⁵⁾ ليأتي الفتح الإسلامي لها على يد عمر بن الخطاب (13-23هـ/634-644م)، ومن ثم بروز اسم القدس في مؤرخات العرب المسلمين بأسماء مختلفة، كيروسالم، يروشاليم، ويوس، وصهيون، موريا، إيليا، بيت المقدس، القدس، والقدس الشريف، والبلاط وأورشلم وإيلياء⁽³⁶⁾ وغيرها.

استعادة العرب للقدس - 16هـ (الحقبة الإسلامية في تاريخ المدينة)

بعد هذا العرض التاريخي الموجز يمكن القول إن علاقة العرب بالقدس لم تبدأ كما يعتقد البعض حينما أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة المكرمة إليها، بل تتجاوز هذا الحيز الزمني لهذه المرحلة القدسية في تاريخ الإسلام متعددة كذلك مرحلة بدء الفتوحات وامتداد المساحة الجغرافية للأمة الإسلامية، ومن المؤكد أن القدسية التي اكتسبتها المدينة العربية بعد إسراء الرسول وعروجه إلى السماء منها قد زادت وبدرجة كبيرة، مما ألبسها هذا الطابع الديني المقدس والجلالة المكانية والروحية في نفوس المسلمين، فغدت أولى القبلتين ومن ثم ثالث الحرمين الشريفين، وحين العروج على عملية الفتح الإسلامي لها في مصادر مؤرخينا الأوائل نلحظ

طابعاً حضارياً سلمياً اتسمت به عملية الفتح وروافده التي انعكست على قدسية المدينة وبقاء طابعها المقدس حاضراً في نفوس الأمة .

فعمر بن الخطاب راح يحاول استكمال التوسع في الفتوحات الإسلامية التي بدأها أبو بكر الصديق، وقد جهز لفتوحات الشام وما حولها عدداً من الجيوش، كان قادتها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح.

ولن نتطرق إلى الكيفية التي أتم بها هؤلاء القادة فتوح الشام وما حولها إلا أن ما يهمنا هو عملية الفتح التي قادها عمرو بن العاص على فلسطين، فقد انطلقت الجيوش الإسلامية، التي اصطدمت في الرملة بجند الروم الأكثر عدداً، والذين كان على رأسهم قائد الرومان (الأرطوبون)⁽³⁷⁾، في حين تم تزويد إيلياء بجيش كبير للدفاع عنها من الهجوم المحتمل لجيوش المسلمين⁽³⁸⁾، فما كان من عمرو بن العاص إلا المسارعة بالكتابة إلى عمر يخبره ويستشير، فلما جاءه الكتاب قال قولته المشهورة تاريخياً: رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب، فانظروا عم تنفرج⁽³⁹⁾، ومن ثم عمل عمر في وضع الخطط الحربية التي من شأنها مشاغلة الروم عن عمرو بن العاص، فجعل يمد كل أمير جند بالإمدادات، كما كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهلها، كما أرسل مسروق بن فلان العكي لقتال أهل إيلياء، في محاولة لشغل الجنود المحتشدين هناك عن عمرو بن العاص، فكانت هذه الخطوات المدروسة تمهيداً عسكرياً شتت الجهود الحربية للروم ليتلاقى معهم عمرو بن العاص في معركة أجنادين الثانية (15هـ)، التي مهد النصر فيها الطريق إلى فتح بقية الربوع في فلسطين⁽⁴⁰⁾، ليسارع بعدها عمرو بجيشه نحو إيلياء لمحاصرتها⁽⁴¹⁾ بعد أن انضم إليه علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب⁽⁴²⁾ في محاولة جدية لإتمام فتحها الذي أضحى محل اهتمام المسلمين وخليفتهم .

وحين النظر إلى استراتيجية المعارك التي خاضتها الجيوش الإسلامية في طريقها للقدس نلاحظ أنها لم تكن تمهيداً عملياً لفتح القدس وحسب بل كانت صداماً لقوى كبرى آنذاك، خاصة أن الصراع الدائر بين القوتين - الإسلامية والرومية - لامس بعضاً من أهم المدن في الشام قاطبة وهما الرملة وإيلياء⁽⁴³⁾، حتى إن غالبية

القادة المسلمين كانوا دائماً يركزون على عملية تأمين الوصول إليهما بصورة سريعة وآمنة، وقد كان حصار الرملة يعتبر بحد ذاته بداية النهاية لسقوط النفوذ الرومي في فلسطين وبقية الربوع المتاخمة للقدس خاصة بعد معركة اليرموك، ومعركة أجنادين العنيفة التي سقط فيها الكثير كما يذكر الطبري ت 310هـ⁽⁴⁴⁾، وفي محاولة لكسب الوقت واستغلال الانتصارات الإسلامية عمل عمرو بن العاص بسرعة على ضرب حصار حول المدينة، وهي العملية التمهيدية التي سبقت فتح المدينة المقدسة؛ فيذكر الواقدي - ت 207هـ - أن أبا عبيدة سير إليها نحو خمسة وثلاثين ألفاً في سبعة أمراء⁽⁴⁵⁾، وقد يكون علم أبي عبيدة بمنعة وقوة المدينة وأسوارها وتحصيناتها هو ما حمله على تسيير هذا العدد الضخم من الجنود حيث تقدم المسلمون نحو المدينة التي لم يستطيعوا دخولها في البداية عنوة ليحاصروها لمدة أربعة أشهر، فكان أول من طلع بالراية خالد بن الوليد، وفي اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان، وفي الثالث شرحبيل بن حسنة، وفي الرابع المرقال، وفي اليوم الخامس المسيب بن نجيب، وفي السادس قيس بن هبيرة، وفي اليوم السابع عروة بن مهلهل بن زيد الخيل، ويقال إن خالداً كان هو وأبو عبيدة معاً⁽⁴⁶⁾، وقد أقام المسلمون على بيت المقدس مناوشات مستمرة، لتأتي النهاية في كتاب الأربطون الرومي لعمرو بن العاص يحاول استمالاته وفك الحصار، فيذكر الطبري قول أربطون الروم لعمرو في رسالته: إنك صديقي ونظيري، والله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع⁽⁴⁷⁾، فما كان من عمرو إلا أن كتب لأربطون الروم: «جاءني كتابك وأنت نظيري وقد علمت أنني صاحب فتح هذه البلاد»⁽⁴⁸⁾، غير أن الواقدي. ينتهي بنا لرواية تاريخية أخرى بالقول: ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس أربعة أشهر دون أن يستطيع دخول المدينة، ثم طلبوا أن يبعث إلى عمر ليفتحوا له فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم⁽⁴⁹⁾ من غير قتال ويسلموا ويعطوا الجزية⁽⁵⁰⁾.

ومما يسترعي الانتباه كثيراً - ونحن نستعرض عملية استعادة القدس العربية - أن الروايات التي تشير إلى من حاصر القدس مختلفة بين الرواة فقد أشار القاسم بن سلام - ت 224هـ - إلى أن بيت المقدس، افتتحه عمر بن الخطاب صلحاً⁽⁵¹⁾، وهو ما وافق ما جاء به ابن زنجويه - ت 251هـ - والبلاذري - ت 279هـ - في تناولهما

لعملية الفتح من أنها عملية فتح سلمية فيذكران» أن عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهمي إلى بيت المقدس في جيش للفتح، في الوقت الذي كان فيه عمر نفسه بالجابية فحاول خالد دخول المدينة عنوة إلا أنها - فيما يبدو - استعصت عليه بقوة سورها ومنعتها.

وقد يكون أهل مدينة القدس ارتضوا الصلح فحاولوا عقد مصالحة مع خالد بأن يعطوه ما أحاط به حصنها، على شيء يؤدونه، ويكون للمسلمين ما كان خارجاً منها، فما كان من خالد إلا أن قبل العرض على شرط موافقة عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر يخبره بالذي صنع، فكتب إليه عمر: أن قف حتى أقدم عليك، وقدم ففتحوا له⁽⁵²⁾ على ما بايعهم عليه خالد بن ثابت⁽⁵³⁾، وهذا ما أورده البلاذري مشيراً إلى أن ذلك كان في سنة 16هـ⁽⁵⁴⁾، كما روى الطبري أن الذي حاصرها هو عمرو بن العاص، وذكر رواية أخرى أن أبا عبيدة - وهو القائد العام لجيوش المسلمين في الشام - حضر بيت المقدس فطلبت أهلها منه أن يصالحهم على صلح مدن أهل الشام، وهو ما يوافق ما جاء به الواقدي من أن أبا عبيدة كان شاهداً لحصارها، أما ابن الأثير - ت 630هـ - فيذكر أن فتح بيت المقدس كان في عام 15هـ أو 16هـ⁽⁵⁵⁾، وأشار إلى أن البعض ذكر أن الفتح كان في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - وسبب ذلك أنه لما دخل أرتوبون إيلياء فتح عمرو غزة، واتجه لفتح بقية الربوع حولها⁽⁵⁶⁾، ثم فتح سبسطية، وناבלس على الجزية، وفتح يافا، ومرج عيون، فلما تم له ذلك أرسل إلى أرتوبون وكتب معه كتاباً، فقال أرتوبون: لا يفتح والله عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين⁽⁵⁷⁾، فكتب عمرو إلى عمر فسار للقدس⁽⁵⁸⁾، وفي رواية أخرى لابن الأثير أيضاً في سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه فسار عمر للقدس ليفتحها⁽⁵⁹⁾ ۞

ولاشك أن الاختلاف في عملية الحصار والتحقيق فيها يخضع لعملية تمحيص وتدقيق كبيرة إلا أنها ليست مجال طرحنا هنا، فالمؤرخون في كل عصر يحرصون على إعادة تدوين التاريخ من جديد تحت مستجدات مختلفة، منها تصحيح المعلومات التي لم يدونها السابقون بالدقة الكافية أو من خلال الرواية الشفوية أو ظهور وثائق

جديدة، مما يستدعي إضافة ما استجد من الأخبار والشواهد التي تصل إلى المؤرخ، ولا غرو أن هذه الحاجة المتجددة في إعادة كتابة التاريخ تضيء عليه الرونق والتجدد الدائم، حتى إن خليفة بن خياط - ت240هـ وهو من أقرب المؤرخين للحدث، الذي أخذ معظم معلومات كتابه عن محمد بن إسحاق - ت151هـ، نلاحظ أنه يقف كثيراً حيال عملية فتح القدس أو محاصرتها، فقد أشار في مرور سريع وجملته عابرة إلى أن أهل إيلياء خرجوا إلى عمر فصالحوه على الجزية وفتحوها⁽⁶⁰⁾، كذلك اليعقوبي - ت292هـ - الذي أشار إليه المستشرق فرانز روزنثال⁽⁶¹⁾ بالقول: إن فكرة اليعقوبي عن التاريخ جاءت قريبة من الأفكار الحديثة، ولم يتوقف كثيراً حيال بعض الروايات التي أضيفت لعملية الفتح⁽⁶²⁾، وما عملية الاختلاف في التحقق من شخصية القائد الذي حاصرها إلا دليل واضح على أن القدس لم يكن فتحها سهلاً وأن الجيوش الإسلامية وقادتها - سواء القيادة العامة بقيادة أبي عبيدة، أو قادة الأفرع والسرايا - كانوا مصممين على دخول المدينة وفتحها، بل إن ما أحاط بعملية الفتح هذه قد أتى ليؤكد أنها عملية مختلفة عن بقية الفتوح الإسلامية، فعلى الرغم من الحصار الإسلامي لها ولأهلها فإنهم في نهاية الأمر آثروا الدخول للمدينة بسلم على الرغم من قدرة الجيوش الإسلامية على مواصلة القتال والحصار خاصة بعد سقوط أغلب النظم والهيكلية الإدارية والعسكرية للروم في الشام وفلسطين، فقد خرج عمر - وهو أعلى سلطة في المجتمع الإسلامي - بنفسه إليها في بادرة تاريخية عملية لتأكيد مكانة القدس في نفوس المسلمين ليتسلم بنفسه وثيقة تسليم المدينة من البطريك صفرونيوس ويعطي له الأمان في وثيقة إسلامية محددة البنود وواضحة المعالم شهد عليها كبار رؤوس قادة الإسلام وأهم فاتحيها، وقد يكون هذا العهد بمن شهد عليه وحضره العهد الوحيد في التاريخ الإسلامي لمدينة كان كوكبة خيرة من قواد المسلمين شاهدة على فتحها وإعطاء الأمان لأهلها الذين نميل إلى أنهم لما أجهدهم الحصار طلبوا الصلح، على أن يكون أمانهم من عمر نفسه بعيداً عما تصوره بعض الروايات من أن اليهود أو النصارى امتلكوا علوماً خاصة بهم أضفى الكثير من المؤرخين عليها لباس القدسية، حتى إن وصف عمر وجدوه عندهم في الكتب المقدسة وهو ما لا نميل إليه⁽⁶³⁾، وإن كنا نفهم مسباته في الرواية التاريخية الإسلامية.

معاويةٌ في بيت المقدس (نص الوثيقة التاريخية التي شهد عليها).

«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم،» شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة⁽⁶⁴⁾.

وبهذا العهد المعطى من أمير المؤمنين وبشهادة كبار قادة الإسلام وأهم الفاتحين في دولته دخلت مدينة القدس العربية في نطاق الخلافة الإسلامية الراشدة لتتبوأ مكانتها ترفل مقدسة في قلوب المسلمين، وبعد ذلك بدأ عمر بن الخطاب مع كبار قاداته في عملية ترتيب الأمور في المدينة، فأقام المسجد الذي يعتبر أول مسجد بناه المسلمون في بلاد الشام قاطبة ليضيف بعداً قدسياً جديداً لها، كما أمر على القدس يزيد بن أبي سفيان يأتمر بأوامر أبي عبيدة، وكان هناك علقمة بن حكيم وعلقمة بن مجزر⁽⁶⁵⁾، وبعد وفاة يزيد بن أبي سفيان تولى معاويةُ اللقاء والأردن وفلسطين وأنطاكية وقليلية وغيرها من مدن الشام⁽⁶⁶⁾، وذكر البعض أنه قبل موت عمر جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان⁽⁶⁷⁾، وكان هذا في نحو 21 هـ/ 641 م⁽⁶⁸⁾، وقد استمر معاويةُ والياً على الشام وفلسطين بقية عصر عمر حتى وفاته - رضي الله عنه - فبدأ في عملية تعريب واسعة للمدينة التي وفد إليها عدد كبير من صحابة رسول - الله صلى الله عليه وسلم -، كما أقره الخليفة عثمان بن عفان (35-24 هـ/ 656-644 م)، كذلك على الشام، وأطلق يده في كثير من الأمور بعد أن ضمت القدس للشام.

وبعد أن تسلم معاوية بن أبي سفيان الخلافة (41-60 هـ/ 661-680 م) قاد عملية إعادة لترتيب وتقسيم للبلدان المفتوحة، فجعل من مدينة القدس العربية المعادل الروحي لمركز الثقل الإسلامي في المدينة المنورة، فقام بتنصيب نفسه للخلافة في القدس إبرازاً لمكانتها وقدسيتها وتأكيداً على أنها نقطة ارتكاز رامية بها لمجال سياسي أعمق دلالة طارحاً قضية وجود مركز ثقل إسلامي آخر بعيداً عن مكة والمدينة والحجاز عموماً، حيث إن وجود معارضة لمعاوية في هاتين المدينتين قد حتم إيجاد معادل لهما

في القدسية والمكانة، ومن البديهي أن تكون القدس هي البديل الأوفر حظاً، كما لم يحاول معاوية أن ينقلب على النظم الإدارية الموجودة بها بل حاول الاستفادة منها وبأقصى قدر ممكن، حتى يذكر أن معاوية ترك سلامة بن قيسر الذي كان قد ولاه عمر على القدس لكي يدير شؤونها، وقد أشير إلى أن سلامة كان يقيم في المكان نفسه الذي كان عليه قيسر هيردوس في زمن الرومان⁽⁶⁹⁾.

والحقيقة أن معاوية بن أبي سفيان ومن خلال وجوده في منطقة الشام وقيادته هناك أدرك أن مدينة القدس مثلت للإمبراطورية الرومانية الشرقية «البيزنطية» أهم ولاية، وأنها أحد المراكز الحضارية في هذه الإمبراطورية، كما كان يعلم أن العرب قبل الإسلام أيضاً كانوا ينظرون إلى القدس نظرة جلية، لما تحويه من حضارة، فضلاً عما بها من خيرات، لذا لم يكن مستغرباً أن يقوم معاوية بن أبي سفيان بعملية تنصيب نفسه وأخذ البيعة فيها ممارسةً عملية تنظيم الدولة وترتيب شؤونها، وتحديد سلطاتها، واعتبرها أصلاً من أصول نظامه وما يتعلق بها من أمور.

المبحث الثاني

القدس في المنهاج السياسي للدولة الأموية

امتدت سلطة معاوية بن أبي سفيان على القدس مبكراً، وشملت الكثير من الأمور الإدارية والسياسية، الاجتماعية، ولم يكن دور معاوية الجهادي في الفتوح والمعارك التي كانت في الشام وفلسطين بأقل من دوره السياسي والإداري في إدارتها بعد ذلك، فتذكر كتب التاريخ أن معاوية اختار أن يتوجه إلى القدس لكي يعلن فيها خليفةً مشكلاً بذلك نقطة فاصلة في تاريخ المدينة المقدسة بعد الفتح، فقد جاء في السنة لابن أبي عاصم - ت 287هـ - من حديث عمرو بن عثمان عن جابر قال: «اجتمع الناس ببيت المقدس، قد هموا أن يبايعوا معاوية بيعة على ما اجتمعت عليه الأمة⁽⁷⁰⁾» كما ذكر ابن عساكر - ت 571هـ - أن وفداً من أهل العراق قدموا على معاوية فقال: مرحباً بكم وأهلاً، قدمتم خير مقدم، قدمتم على خليفتم وهو جنة لكم، وقدتم أرضاً بها قبور الأنبياء، وقدتم الأرض المقدسة وأرض المحشر⁽⁷¹⁾، كما أشار أيضاً إلى أن أهل الشام بايعوا معاوية بإيليا⁽⁷²⁾، وجاء في الأحاد والمثاني من رواية «أبو عمير عن

أبو ضمرة قال: بويع معاوية رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ سنة أربعين ببيت المقدس⁽⁷³⁾»، كما جاء عند ابن الأعرابي - ت 340 هـ- أن عبد الله بن عمرو بن العاص سئل ألا تذكر معاوية فقال «ملك الأرض المقدسة ألا أتبعه⁽⁷⁴⁾».

ولاشك أن القدس أمام المعطيات الحضارية والروحية حظيت في عهد معاوية بدرجة كبيرة من الاهتمام والإدارة والتنظيم خاصة في بنيتها ومبانيها وتنظيماتها الإدارية، ومما يلفت النظر أن الأماكن المسيحية المقدسة تركت وقت الفتح الإسلامي - حتى بعد أن سيطر المسلمون على المدينة - في حوزة المسيحيين كما نصت العهدة العمرية «إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم».

والحقيقة أن الواقع التاريخي - كما يشير غاسبار⁽⁷⁵⁾ - قد أبان أن القدس منذ الفتح الإسلامي ودخولها في العهد الأموي وخليفته الأول معاوية تم الحرص فيها على احترام ممارسات الطقوس الدينية، والأماكن المقدسة لليهود والمسيحيين، احتراماً تاماً وضمن لهم حرية العبادة، بل إن عمر الفاتح الأول للمدينة ومعاوية الذي نصب نفسه هناك كانا يريان أن لجميع الديانات أحقية في ممارسة معتقداتهم بكل أمان، وقد يكون هذا التوجه عكسه موقف معاوية من حرصه على تقوية أسوار المدينة وزيادتها ونشر الأمن فيها، فقد ذكر أن القدس في عهد معاوية بن أبي سفيان كانت تمتلك سوراً قوياً عليه أربعة وثمانون برجاً، له ستة أبواب، منها ثلاثة للدخول والخروج في الشرق والغرب والشمال من المدينة، كما ازدهرت بها التجارة والتبادل التجاري، وكان سكان القدس يتمتعون بأمان كبير في تنقلاتهم من المدينة وبعض الربوع حولها في عملية التجارة ونقل الأخشاب وزراعة الزيتون خاصة مع مدينة الخليل التي تبعد عن القدس مسافة ثلاثة أميال من الشمال⁽⁷⁶⁾، كما نظمت الجزية بمجموعة من الأحكام والقوانين⁽⁷⁷⁾.

وقد يكون معاوية في اختياره للقدس مكاناً للمناداة به خليفة⁽⁷⁸⁾ - أراد أن يؤكد شرعية هذه البيعة في مكان مبارك له جلالته، كذلك يبدو أنه وضع نصب عينيه أن القبائل التي ارتبطت به وأيدته ودعمت موقفه وصارت يده الطولى في تدعيم حكمه كان أغلبها في الشام ونواحيها؛ أي أنها كانت القوة العسكرية والسياسية التي

استند إليها الحكم والدولة الأموية، لذا في المقابل يجب أن تكون رسالة الوصل بينه وبينهم يحكمها كذلك وجوده في مكان له قدسيته، خاصة وهو بعيد عن مكة والمدينة، لذا فالقدس وهي مقر الأنبياء ومهبط الوحي وأولى القبلتين وثالث الحرمين وموضع إسرائ الرسول - صلى الله عليه وسلم - لاشك هي أبرز الأماكن الروحية لعملية التنصيب، كذلك أدرك أن سكان ربوع الشام بما فيها القدس سيقدّمون له الخبرة والعمل الإداري الذي سوف يساعده على الإمساك بزمام الأمور⁽⁷⁹⁾، خاصة أن الأجهزة الإدارية في هذه النواحي كانت متوطنة منذ فترات طويلة دعمها وساندها الرومان من قبل؛ مما سيساعد معاوية في تأسيس ملكه في فترة التأسيس هذه التي لا تحتاج الإدارة فحسب، بل الخبرة والمران اللذين وفرهما له خبرات العمال الذين كانوا يعملون في ظل الإدارة البيزنطية والرومية في الميدانين الإداري والمالي⁽⁸⁰⁾.

ويبدو أن معاوية استقر فترة من الوقت في القدس قبل أن يتخذ دمشق مقراً له حتى إن الذهبي ت 748 هـ يصور لنا محاولة الاغتيال الفاشلة له بأنها كانت في القدس؛ فيذكر «أنه بعدما بويع على الخلافة قدم البعض ممن دبروا عملية الاغتيال إلى مدينة القدس فصلوا، ثم سألوا بعض من حضر المسجد من أهل الشام عن ساعة يوافقون فيها خلوة معاوية، فلما خرج جرت هذه المحاولة الفاشلة⁽⁸¹⁾، وهو ما يؤكد ذكر البيهقي - ت 458 هـ - في السنن الكبرى أن معاوية اعتاد الصلاة في المسجد بجانب عدد كبير من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين استقروا هناك مورداً عن يعلى بن شداد بن أوس أن معاوية جمع بهم في الصلاة، فنظرت فإذا جل من في المسجد من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم⁽⁸²⁾.

ولابد لنا أن نلاحظ كذلك أن حظ القدس من الحضارة كان أوفر من حظ الأمصار الأخرى، خاصة أن سكانها كانوا قد اعتادوا فكرة الحكم المركزي وفكرة الدولة عموماً⁽⁸³⁾؛ فقد كان معاوية رجلاً دولةً محنكاً، لذا فقد كانت المبادرة بعملية التنصيب في القدس لها أبعاد سياسية - بجوانبها العسكرية والاقتصادية - بخلاف الأبعاد الدينية التي وفق في اختيارها، فقد كان معاوية يعلم أن القدس التي احتلت منذ الدعوة الإسلامية مكاناً في نفوس المسلمين بذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي كانت قبلة المسلمين لفترة من الوقت؛ مما يعطي له ثقلاً يقوي من وضعه السياسي

في مواجهة الشرعية الدينية المتمثلة في وجود بعض المعارضة في مدن الحجاز كمكة والمدينة، كذلك عمل معاوية للحفاظ على الوحدات القبلية من خلال نظرتة لوضع القدس وطبيعتها وسكانها من العرب وغيرهم، فهو في القدس بعيد عن مواضع النزاعات والخلافات القبلية والعرقية؛ فالذين سكنوا العراق مثلاً قبل الفتح كانوا في خصومة وصراع دائمين مع الحكم الفارسي⁽⁸⁴⁾، وكذلك بعض سكان بلاد الشام في حمص وغيرها وخاصة الثغور هناك كانوا قد اعتادوا الخضوع والتعايش مع البيزنطيين، لذا فقد كانت القدس وما بها من العرب الذين هاجروا إليها بعد الفتح يعيشون جنباً إلى جنب مع السكان المحليين والقبائل التي كانت تقطن الشام قبلاً، فعمل على كسب الرؤساء المحليين للكثير من القبائل هناك إلى جانبه وهو ما ساعده في عملية وجود نوع من الرضا وكسر حدة التمرد القبلي، الذي كان قد بدأ يعلو صوته في الحجاز⁽⁸⁵⁾، كذلك فقد كانت القدس وما حولها من مدن الشام - كحلب والرصافة، وحمص، والرملة وإنطاكية - تشتهر بأهميتها التجارية، ونشاط أسواقها⁽⁸⁶⁾، كونها محط رحال القوافل التجارية الآتية من الشرق، حيث اعتبرها مراكز تجارية كبرى مما سيوفر له مجالاً أوسع لتأمين جميع المتطلبات والاحتياجات إذا ما أجبر على البقاء فيها تحت أي ظرف من الظروف؛ مما قد يحملنا على القول إن العامل الاقتصادي للمدينة المقدسة كان حاضراً وبقوة في عملية اختيار معاوية للتنصيب هناك.

والحقيقة أن معاوية لم يبخل في البلدان التي تولى أمورها بكل ما يوفر له سبل الرضا والإخلاص خاصة بعد أن استبدل بمبدأ الانتخاب مبدأ الوراثة في نقل السلطة، كذلك حرص على أن يتمتع المسيحيون وبقية الطوائف في المدينة المقدسة بحرية في ممارسة طقوسهم ومعتقداتهم الدينية، فلم تذكر لنا مصادر التاريخ أن أحداً تعرض للطوائف أو أهالي الديانات الموجودة هناك بسوء، وقد حرص الجميع على الوفاء لهم بجميع العهود التي أقرها عهد عمر في وثيقته المشهورة.

الأمويون و التنظيمات الإدارية والسياسية في القدس

نلاحظ أن الأمويين وخليفتهم الأول معاوية قد وضعوا القدس في مركز ثقل سياسي وإداري مهم، فالقدس بتاريخها تتميز عن غيرها من بقية المدن الموجودة في

الشام، كما أن طرز الحياة العربية والثقافة والحضارة وجهد الفاتحين العرب والقبائل التي نزحت للمدينة بعد الفتح، كل هذا قد يكون عمل على جعل المدينة حاضرة مدن الشام بعد دمشق التي كان قد استوطنها معاوية وأقام فيها يسير أمور الخلافة، إلا أن معاوية حتى بعد أن استقر في دمشق ظل مهتماً بأمور القدس؛ فقد ذكر المطران أركولوفوس الذي وصف بناء المسجد الأقصى في عهد معاوية حوالي عام 50هـ بأنه مبني من ألواح الخشب وجذوع الأشجار، وذو أعمدة عظيمة، وهو في شكله ومساحته على هيئة مربع يتسع لنحو ثلاثة آلاف من المصلين⁽⁸⁷⁾، وهذا الوصف للمطران أركولوفوس يعتبر بحد ذاته شهادة في ذلك الوقت خاصة أنه لو قيس بمقاييس هذه الفترة في صدر الإسلام لوجدنا أن اتساعه لثلاثة آلاف من المصلين يعتبر دليلاً على كبر المسجد وسعته إذا قيس بمعايير المساجد الأخرى الموجودة، خاصة أن التجديدات التي لحقت بأهم المساجد الإسلامية وهو مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم تبدأ قبل عام 88هـ - وهو التجديد الشامل في عهد خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (86-96هـ/705-715م)، كذلك مسجد البصرة جدد في عام 44هـ في عهد معاوية وأعيد بناؤه من الخشب والأعمدة الحجرية على يد زياد بن أبي سفيان، أما مسجد الكوفة فقد جدد في 51هـ على يد زياد أيضاً، كما حدثت الزيادة في مسجد عمرو بن العاص بمصر في عام 53هـ⁽⁸⁸⁾، وإن كان مبنى المسجد خشبياً متواضعاً فذلك ينسجم مع مبدأ التقشف الذي طبع مختلف المساجد في بقية البلدان المفتوحة، وبناء على هذا الاهتمام فلا شك أنه ازدهرت كذلك الطرز الإسلامية المعمارية في بناء البيوت، حيث استفاد البنائون المسلمون من التطور العمراني الرومي البيزنطي، وتجلّى ذلك المزج بين الفن المعماري الإسلامي والفن المعماري البيزنطي في بعض النقوش ورسومات الجامع الأموي بمدينة دمشق فيما بعد، وكذلك الجامع الأموي بمدينة حلب، وقبة الصخرة والمسجد الأقصى، لتصبح القدس مركزاً من مراكز الحضارة العربية الإسلامية، بل إن معاوية نفسه كان حريصاً على الحفاظ على الخطبة والدعوة من فوق منبرها⁽⁸⁹⁾، كما حرص معاوية على أن يتمتع الجميع في المدينة بالأمان محترماً كذلك الهوية الدينية لسكانها من اليهود والنصارى⁽⁹⁰⁾، كما حرص الأمويون من بعده أن يولوا القدس أئمة القادة الأمويين، وأن يكون لها والٍ وقاضٍ خاصان بها.

ولم تقتصر سياسة الأمويين في ربوع الشام وفلسطين على استصلاح الأراضي والصوائخ والبطائح وإحيائها؛ فقد شجع الأمويون عملية الزراعة وعدم تحجيرها والإنفاق على الشؤون الإدارية، ولم يكن استقرار معاوية بعد ذلك في دمشق مانعاً من أن يظل الاهتمام بالقدس في أولوياته، وربما ترك بعض ولاياته يمارسون السلطة التنفيذية هناك إلا أنه ظل ممسكاً بزمام الأمور فيها، بل عمد في عملية تطوير للنظم الإدارية هناك لمراسلة ولاياته في الشؤون الإدارية الدقيقة لها وللولايات الموجودة حولها، فقد راسل أبا الأعور السلمي⁽⁹¹⁾ مكلفاً إياه عمل حصر وإحصاء لفلاحي فلسطين بقصد النظر في تنظيم فرض الجزية⁽⁹²⁾، وإن لم يكن هذا مستغرباً على معاوية الذي اشتهر باستخدام الأدوات الإدارية المدعمة لقوة الدولة وتنظيماتها المختلفة.

كما عمل الأمويون من بعده كذلك على بعض التقسيمات الإدارية المختلفة التي كان منها أنه في حالة إسلام الذمي يعفى من الجزية ولكن أرضه تبقى خراجية، كما فضل بعض خلفائهم أن تبقى الزراعة بالأراضي بالنصف أو الثلث أو العشر وإن لم تزرع ينفق عليها من بيت مال المسلمين⁽⁹³⁾، كما أن الاصطلاحات الداخلية في عهد الأمويين، والتي طالت مدينة القدس شملت كفالة الأيتام ووضع المجذومين في بيوت يرعاهم أطباء، كذلك رتبت الأرزاق وعين لكل مقعد خادم⁽⁹⁴⁾، ولم تشر كذلك المصادر التاريخية إلى أن أهل القدس عانوا من نقص في المياه أو حدوث عمليات نقص في الطعام، وهو ما يفسر لنا اعتماد أهلها في معاشهم على التجارة.

القدس في الفكر العسكري الأموي

للقدس أهميتها الخاصة من الناحية العسكرية شأنها شأن فلسطين ككل، حيث تقع على تقاطع الطرق التي تربط جميع أرجاء العالم القديم بقاراته الثلاث، وقد تمثلت أهمية القدس بالنسبة لمعاوية عسكرياً في بعدها ذي الطابع العسكري؛ فالقدس تتضمن مواضع طبوغرافية ممتازة للدفاع والسيطرة العسكرية بإشرافها على ثلاثة وديان صعبة، هي وادي قدرون أو جهنم من الشرق ويقع بين وادي الزيتون وتلال أوفل، ومن الجنوب وادي الربابة الذي يشكل الحدين الجنوبي والجنوبي

الغربي للمدينة، ومن الغرب وادي الروث أو الزبل⁽⁹⁵⁾؛ مما يجعلها حصناً قوياً إذا ما تحصن بها ضد أي قوى، كما أن وضعها الجغرافي كذلك يجعل الطريق للشام أمامها مفتوحاً بجانب الأردن ومصر⁽⁹⁶⁾، خاصة أن القدس قد بدت له محصنةً تحصيناً قوياً من جهاتها الثلاث: الشرقية والجنوبية والغربية بموانع طبيعية يصعب على أي جيش الوصول إليها بسبب وديانها الصعبة، ولم يكن من المستبعد أيضاً أن يكون معاوية فكر في استغلال طبيعتها التجارية وتحكمها في مرور بعض الطرق التجارية منها وإليها، التي كانت تخترق فلسطين من الشمال للجنوب ومن الشرق للغرب، من الخليل جنوباً إلى نابلس شمالاً والأردن شرقاً وبحر الروم (البحر المتوسط) غرباً⁽⁹⁷⁾، مما يجعلها نقطة عبور مهمة بين بقية الربوع والبلدان المجاورة للموارد والثروات المختلفة.

ومن المحقق أن الهدنة التي عقدها معاوية إبان الفتنة مع الروم قد حمت المدن الشامية من المناوشات أو الوقوع بأيدي الروم خاصة مدينة القدس⁽⁹⁸⁾ بعدما شعر بنواياهم تجاهها ومحاولاتهم استرداد بعض المدن على الثغور، والقدس بما لها من أهمية كبيرة بالنسبة للروم كانت المرشح الأقوى لشن الغارات والحروب لإعادتها، كما أن بعض الأخطار التي واجهت الدولة الأموية من جانب نواحي فلسطين حتمت التعامل معها بحكمة خاصة المشكلات المالية والاقتصادية الجسيمة التي نتجت حيال أخذ نائل بن قيس الجذامي بيت المال بفلسطين⁽⁹⁹⁾، ومما ساعد معاوية في تجنب آثارها استعانته ببعض عماله النصراري ومنهم عامله ابن آثال كاتبه على خراج حمص وسرجون⁽¹⁰⁰⁾

كما استفاد الأمويون من خبرات بعض القادة الأكفيا الذين كانوا على بعض ربوع فلسطين - ومنها القدس لإدارة الأمصار كعمرو بن العاص - بما امتلكوه من رؤية إدارية اكتسبوها من خلال ممارستهم للإدارة هناك، بل إن بعض الأنماط الإدارية العسكرية لنظام الأجناد كان امتداداً للتقسيم البيزنطي الذي وجدته العرب قائماً، ومنها نظام البنود، وهو يضم المحاربين المقيمين في كل إقليم ما يكفل أرزاق الجند وأعطياتهم؛ فقد كانت أجناد الشام تتألف من جند دمشق والأردن وفلسطين، أما قنسرين فقد ضمت لحمص، وأضيف إليها في زمن يزيد بن معاوية (60-64هـ/680-

683م) إنطاكية ومنيج، وبذلك أصبحت الأجناد العربية توجه في حملات فصلية أو حملات طويلة للفتوحات المختلفة، ويبدو أن القدس لم تنل حظاً من عملية إقامة الجنود فيها؛ وذلك لأسباب يمكن إرجاعها لوضعها الديني الخاص؛ فلم يكن من المقبول جعل مدينة القدس حتى على الرغم من طبيعتها الجغرافية العسكرية وموقعها الاستراتيجي لتكون مكاناً لتجميع الجنود أو ثكنة عسكرية ينطلق منها الجند لاستكمال عمليات الفتح.

كما لم تشر المصادر التاريخية إلى أن نظام التجنيد الإلزامي الذي طبق في عهد هشام ابن عبد الملك طال المدينة المقدسة أو زج بها في تنظيمات عسكرية للجيش الأموي⁽¹⁰¹⁾، كما أننا نلاحظ أن خلفاء بني أمية - منذ أن تسلم معاوية الخلافة - لم يضعوا القدس كمدينة طرفاً في أي صراع دار بينهم وبين أي قوى مناوئة لهم على الرغم مما كانت تمثله لهم من أهمية وثقل ديني وسياسي.

التطوير والاستقرار الإداري للقدس بعيداً عن الصراع العسكري والسياسي في العهد الأموي

أبرز الأمويون منذ إمسакهم بالحكم تعلقهم بالقدس وإجلالهم لها، وهو ما تجلّى بشكل خاص في عملية التنصيب التي جرت فيها⁽¹⁰²⁾، والحقيقة أن تاريخ الأمويين يكشف لنا عن تغير ونشاط واضح تجاه المدينة والشام عموماً، وبإمكاننا أن نستنتج أن معاوية نجح في الانتقال من مركز الثقل الديني والروحي بمكة والمدينة إلى الشام - وإن نافست القدس مدينة دمشق - إلا أنها ظلت تمتلك الثقل الديني والروحي الأبرز، وليس مجرد مدينة مفتوحة تحت حكم المسلمين بما تضمه من فئات إثنية مختلفة، كما أن وجود هذه الطوائف والعرقيات المختلفة لم يكن يمثل للخلفاء الأمويين على الرغم من خصوصيتها الحرجة أي مشكلة، فقد كان الطابع الإسلامي بدأ يصبغ المدينة حتى يمكن القول إنه طغى على الثقافة المحلية الأصلية التي لم يكن بمقدورها - على ما يبدو - أن تصل إلى مثل هذا الوعي الديني والمعاملة الطيبة التي انتشرت منذ أن دخل الإسلام بها واستوطنها عدد من صحابة رسول الله، كما أن الأمويين في محاولتهم نقل الثقل من الجزيرة إلى الشام لم تكن معادلتهم قائمة على التحالف الأموي - القبلي فقط، ولكنها اتخذت منحىً توازياً ما بين القبائل المختلفة

خاصة كلب وفهر وقحطان وقيس بصورة عامة كما يشير إلى هذا الصلابي، حتى إن بعض القبائل آثروا الإقامة في جنوب الشام (جند الأردن)، مما أتاح قدراً من الاستقرار لمستته ربوع فلسطين والمدينة المقدسة التي لم تشهد أي محاولة كبرى للخروج على معاوية باستثناء محاولة الاغتيال.

والحقيقة أن الطابع الديني للمدينة جعلها تختلف عن غيرها من المدن؛ ففي حين دخلت مكة والمدينة مبكراً في عملية الصراع الدائر بين أطراف النزاع وكانتا من القوى في عملية التشابكات السياسية في الكثير من الأوقات، نرى على العكس أن القدس في العهد الأموي على الرغم من محاولة معاوية الرمي بها لتؤدي دوراً سياسياً في صراعه مع بقية الأطراف لم تكن تشجع على قيام كيانات سياسية أو تصلح لتكون مركز ثقل سياسي قادر على إزاحة مكة والمدينة بل إن الطابع المقدس للمدينة وتاريخها يمكن أن نقول إنه كان كحلقة وصل ذات تأثير سياسي محدود.

كما استطاع الأمويون خلال فترة الاضطراب السياسي التي تلت وفاة يزيد بن معاوية أن يحصلوا على بيعة مدن الحجاز بالإضافة إلى اليمن ومصر والعراق وخراسان وأكثر إقليم الشام بما فيها القدس⁽¹⁰³⁾.

والواقع أن المصادر المتاحة لا تشير إلى من تولى القضاء أو بعض النظم الإدارية في المدينة خلال الكثير من فترات الحكم الأموي⁽¹⁰⁴⁾، بخلاف ما جاء عن ابن عبد البر من أن الأوزاعي قال: أول من تولى قضاء فلسطين عبادة بن الصامت وكان معاوية قد خالفه في شيء أنكره عليه عبادة في الصرف، إلا أن عمر بن الخطاب أنكر على معاوية فعله وكتب إليه لا إمرة لك على عبادة، والمرجح أنه في الكثير من الأحيان كان العمال على القدس يتولون القضاء بالإضافة لتصريف شؤون المدينة، وقد يكون من الممكن أن نستدل على حدوث بعض التطورات السياسية والاجتماعية، فقد تطورت النظم الإدارية والاجتماعية في القدس خالعة ثوبها البيزنطي محتفظة في الوقت نفسه بجميع مظاهرها الدينية سواء المسيحية أو اليهودية الباقية، كما حافظت المدينة بين أسوارها على الطابع العربي بشقيه القديم المتمثل في أصول السكان والجديد الذي جاء مع دخول المسلمين للمدينة واستيطان بعض القبائل العربية بها، وقد يكون انفراد الأمويين عن غيرهم بالحرص على التمسك بالعنصر العربي الذي عدوه القاسم

المشترك الذي يجب أن يجتمع عليه العرب في أي وقت من الأوقات أحد العوامل الكبيرة في استقرار القدس سياسياً وإدارياً، فقد وجد الأمويون أن فلسطين وربوعها تحوي تقاليد عريقة في الحكم والإدارة، وبها جهاز إداري له باع طويلة من الخبرة والتمرس، فحاولوا الاستفادة منه بأقصى قدر دون أن يطغى على العنصر العربي الذي حاول الاستفادة من هذه الخبرات وليس القضاء عليها، وإن كانت المصادر التاريخية لم تذكر لنا أن يزيد بن معاوية قام بأي عمل عدائي تجاه سكان القدس مقارنة بما حدث في المدينة أو مكة التي تهدم جزء من بنائها في عهد يزيد⁽¹⁰⁵⁾، ما يؤكد أن أحوال مدينة القدس في عهد يزيد كانت أكثر استقراراً وتأيداً للخليفة الذي - فيما يبدو كذلك - لم تتح له فرصة القيام بعمليات إدارية أو محاولة تغيير الأحوال فيها، إلا أنه لم يكن من المستبعد حدوث بعض التغييرات الطفيفة قياساً على ما جرى منه في الشام عموماً؛ فقد عمل يزيد على إكمال نظام الري في غوطة دمشق كما حفر قناة سميت بنهر يزيد، وزاد في المقاطعات الإدارية العسكرية في جند قنسرين⁽¹⁰⁶⁾، كما لا يمكننا أيضاً أن نستبعد حدوث تطورات في الدواوين كالخاتم والبريد⁽¹⁰⁷⁾.

القدس و التجديد العمراني في عهد عبد الملك بن مروان

قد يلاحظ أن كم التشابكات السياسية التي خاضها يزيد بن معاوية ومن بعده مروان بن الحكم (ت 65هـ/685م) قد حد كثيراً من قدرتهما على مواصلة التجديد السياسي للدولة الأموية، إلا أنه بعد أن تولى عبد الملك بن مروان الحكم يمكن القول إن الدولة الإسلامية شهدت حركة توحد سياسي أدت إلى حملة من التغييرات السياسية والاقتصادية والثقافية، واستعادت الخلافة مكانتها وانطلقت من مرحلة السكون التي عانتها إلى فضاءات حضارية وإنسانية تمثلت في العديد من المظاهر كالتجديد العمراني وبناء المدن والأسواق وتأسيس بعض الصناعات البحرية وسك العملات وتجديد الحياة الاقتصادية والصناعية والزراعية، كذلك اهتم عبد الملك بن مروان بالطرق البرية والبحرية وإعمار الأراضي، والحقيقة أن عبد الملك بن مروان بدأ ومن تلاه من الخلفاء المروانيين في تعيين العمال والقضاة على أهم مدينتين في الحجاز، وهما المدينة ومكة، ومن ثم توجهت أنظاره إلى بقية مدن الشام، وكانت القدس على رأس أولوياته فيها وساعده كثيراً الاحتكاك والتواصل الاقتصادي والسياسي والحضاري للقدس، اللذان لم ينقطعا

في أي وقت مع الأمم المجاورة القريبة والبعيدة ، كما شهدت القدس في عهد عبد الملك بن مروان تجديداً في الحياة الاقتصادية والتجارية وما ارتبط بها من الطرق والمعاملات ، وذلك قياساً على ما تم في باقي حواضر المدن الإسلامية إبان فترة توليه الخلافة.

وتُجمع المصادر على أن عهد عبد الملك بدأت فيه مدينة القدس صفحة جديدة يقف التاريخ لها شاهداً على عظمتها وعلو شأنها، فقد سيطر الخليفة على أغلب مدن الشام عدا الأردن التي لم تباع له بالخلافة⁽¹⁰⁸⁾، فارتبطت بذلك حواضر الشام وفلسطين سياسياً وإدارياً بالدولة الأموية بشكل مباشر، ولكن يلاحظ أن المصادر المتاحة لا تشير بالتفصيل إلى من تولى أمر القدس في الفترة التي تولاها عبد الملك بن مروان والتي امتدت من سنة 65هـ/ 685م إلى سنة 86هـ/ 705م، باستثناء ما جاء من أنه كان على ولاية فلسطين في عهد عبد الملك شخص اسمه منصور⁽¹⁰⁹⁾، كذلك تشير المصادر التاريخية إلى أن عبد الملك بن مروان كان كثير الزيارة لها مهتماً بها خاصة منطقة الصخرة والمسجد الأقصى وبقية المقدسات الإسلامية والمسيحية التي نالت كل التقدير والاحترام منه⁽¹¹⁰⁾، وقد ذكر ابن خلكان - ت 681هـ - أن عبد الملك بن مروان أمر أن يعمل له باب بيت المقدس ويكتب عليه اسمه⁽¹¹¹⁾، كما يشير ابن عساكر إلى أن عبد الملك كان له بيت في القدس، وهو ما تناوله حين أشار إلى أنه خرج من الصخرة فأدرك سليمان بن قيس الغساني وابن هبيرة الكندي ومشيا معه حتى أتى منزله فدخل وأذن لهما⁽¹¹²⁾، كذلك يشير إلى أن أم الدرداء كانت تتوكل على عبد الملك بن مروان حتى يدخل بها المسجد ويمضي هو إلى المقام فيصلي بالناس⁽¹¹³⁾.

وفيما يبدو أن عبد الملك حاول الاستفادة بأقصى قدر من النظم الإدارية التي كانت موجودة من قبل، فيذكر ابن عساكر أنه لما أخذ الحارث⁽¹¹⁴⁾ بيت المقدس وادعى النبوة طلبه مروان هناك وحمل إليه على البريد⁽¹¹⁵⁾، وهو ما يحمل على القول إن النظم الإدارية⁽¹¹⁶⁾ لم تتأثر كثيراً بالأوضاع السياسية والفتن والحروب، وظلت مستقرة حتى استتب له أمر الخلافة بل حين النظر لوجود ديوان البريد⁽¹¹⁷⁾ في القدس، وحمل أحد الخارجين على الدولة عليه نلاحظ كذلك أن النظم الإدارية شاركت في عملية استتباب الأمن، كما نستشف أن ما ارتبط بوجود هذا الديوان من طرق المواصلات وغيرها في مدينة القدس لا بد أن يكون هو الآخر قد شمله التطوير والتحديث خاصة

أن بعض المصادر أشارت إلى أنه اقتبس من الروم أصلاً⁽¹¹⁸⁾، وكانت أعماله في العصر الأموي، واسعة ومتشعبة، وكان موظف البريد من أهم أعوان الخليفة⁽¹¹⁹⁾، ولم يتوقف عبد الملك في عملية التطوير العمراني في القدس خاصة الأماكن المقدسة، فيذكر أنه في القدس أربعة أبواب مغلقة، منها ابتداء من زاوية السور باب يسمى الباب الواحد، وثانيها الباب المثلث وهو (مؤلف من ثلاثة أبواب)، والثالث المدرج (مؤلف من باين يعلو كلاً منهما سور)، كما أن هناك باباً في سوار المدينة يسمى باب الرحمة، الذي يسميه الغربيون الباب الذهبي لدقة صناعته ورقبها، وهذا الباب يقع على بعد مائتي متر جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور، ويؤدي إلى باحة مسقوفة قائمة فوق أعمدة، ويرجع أصول هذه الأبواب للعهد الأموي⁽¹²⁰⁾.

الأمويون والأقليات غير المسلمة في القدس

لقيت المجموعات غير المسلمة والمسيحيون بالذات في ظل الحكم الإسلامي بالقدس كل حرية وسلام وأمن في دينها ومالها وعرضها، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أي خروج عن المؤلف في تعامل الخلفاء المسلمين مع هذه الطوائف إذا ما قورن بما كانت تعانيه بعض الطوائف كاليهودية من التعنت والاضطهاد فيها قبل الفتح الإسلامي، كما أن انعكاس التسامح الديني مع النصارى ظهر تأثيره واضحاً منذ اللحظات الأولى التي تلت الفتح، إذ كان من المعروف أن الدولة البيزنطية تضطهد رعاياها من أصحاب المذاهب الأخرى المختلفة وتعاملهم معاملة قاسية، وتعتبرهم هراطقة، وبظهور الإسلام في القدس ودخول كثير من المسيحيين الدين الإسلامي تغير الوضع⁽¹²¹⁾، وكان معاوية يجلس إلى جماعات المسيحيين من المذاهب المختلفة، ويستمع إلى جدلهم الديني ومناقشاتهم المختلفة⁽¹²²⁾، وبهذا ضربت الدولة الإسلامية الأموية مثلاً سامياً في التسامح الديني تجاه رعاياها وابتعادها عن التعنت والتعصب الديني.

وقد ذكر أن عبد الملك كان يسمح للنصارى بالخدمة في المسجد الأقصى، وهو ما يؤكد تمتع النصارى بحرية في جميع مظاهر ممارسة الطقوس الدينية بل وصل الأمر إلى أنهم شاركوا المسلمين في خدمة المسجد الأقصى المبارك في وقت من الأوقات⁽¹²³⁾.

ويبدو أن إظهار الأمويين لسياسة التسامح في المدينة وإظهار صيغ الاحترام والنيات الحسنة وإنابة السلام لجميع الأقليات لم يكن يرمي لأهداف سياسية قدر كونه نهجاً متبعاً التزم به الأمويون وحرصوا عليه وقد استخدم معاوية عدداً من الروم ممن كانوا في الإدارة البيزنطية في بلاد الشام قبل فتحها، كتاباً في الأمور الإدارية، حيث عين سرجون بن منصور الرومي كاتباً له⁽¹²⁴⁾، بل إن بعض المستشرقين الأوروبيين شهد بوجود تسامح كبير بالنسبة للأقليات غير الإسلامية في مدينة القدس إبان العهد الأموي⁽¹²⁵⁾، ولا شك أن الصحابة الذين استقروا في مدينة القدس بعد الفتح التي استقطبت عدداً كبيراً منهم قد جلسوا للتدريس فيها ونشر القرآن والسنة وتعليمها⁽¹²⁶⁾ وهو ما قد يكون عمل كثيراً على إعطاء الأمان وتثبيت الكثير من الحقوق لغير المسلمين في المدينة التي شهدت ربوعها تعايشاً سلمياً أكثر أمناً من ذي قبل.

عبد الملك والوليد - بناء قبة الصخرة و المسجد الأقصى⁽¹²⁷⁾

المسجد الأقصى اسم شامل لكل ما يعرف في وقتنا باسم المسجد القدسي الشريف، ويتألف من المسجد الكبير (المسجد الأقصى) ومسجد الصخرة وما بينهما وما حولهما من المنشآت والأروقة والملحقات وغيرها، وقدسية المسجد الأقصى لا تحتاج منا إلى برهنة أو إثبات مادامت هذه القداسة أو القدسية عممها القرآن الكريم في كثير من الآيات التي منها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽¹²⁸⁾. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾⁽¹²⁹⁾. وقوله تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾⁽¹³⁰⁾، لذا ومن منطلق فهم القدسية في هذه الآيات الكريمة نلاحظ تعميم القدسية والقداسة والبركة على المسجد الأقصى وعلى القدس عموماً باعتبارها أرض المسجد الأقصى، كما أن حركية البركة تنطبق ماديتها ومعنوياتها على مدينة القدس.

ولم يكن الخليفتان عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بعيدين في أي وقت من الأوقات عن النظر للقدس بعين الاعتبار لمكانتها الدينية والسياسية خاصة في عملية إعادة بنائها وتجميلها بالمساجد والقصور ورصد الأموال لتحديثها⁽¹³¹⁾، ما قد يعكس كذلك الاستمرار في محاولات تحويل الدور السياسي من مكة والمدينة اللتين أصبحتا مركز توتر بالنسبة للأمويين، إلى مكان أهدأ وأقدر على إحداث عملية توازن واستقرار، وكذلك تأمين مكان لإدارة الأمور سياسياً وإدارياً إذا ما شكلت الأحداث في الحجاز خطراً أو ضغطاً على الخلافة بيد الأمويين، خاصة إذا ما نظرنا للفترة الزيرية التي استطاع فيها عبد الله بن الزبير حكم الحجاز خلال الفترة التي امتدت إلى ما يقرب عشر سنوات من سنة 64هـ/ 684م إلى سنة 73هـ/ 692م.

عبد الملك وبناء مسجد قبة الصخرة

الحقيقة أن عبد الملك بن مروان وبعد أن تولى الخلافة كان معتقداً بدرجة كبيرة أن الشام وربوعها يجب أن يبقى مركز الخلافة، وأن السياسة العملية التي يمثلها الشام يجب أن تبقى سياسة الحكم والخلافة⁽¹³²⁾؛ لأنها السياسة التي ظهر له صلاحها، كذلك كانت الأمور بالنسبة لعبد الملك في الشام عموماً والقدس خصوصاً مستقرة حتى إنه استعمل الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على المدينة في سنة 73هـ بعد قضائه على حركة ابن الزبير في مكة وعزل طارق بن عمرو؛ مما قد يفهم منه محاولة لرصد وشل موجات الحراك السياسي للمدينة والعمل على إخضاعها سياسياً بل قمعها تحت حكم الحجاج مقارنة بالقدس التي عمل على إبرازها وإظهار دور سياسي أكبر لها، وبناء الطرق والقصور كطريق القدس - الشام، وطريق القدس - الرملة، كما أمر بوضع حجارة منقوش عليها اسم الذي أمر بتعمير الطريق وكتابة المسافة بين بعض البقع فيها وبين دمشق⁽¹³³⁾.

وقد يكون اليعقوبي أول المؤرخين الذين حاولوا إيجاد التسويغ لبناء مسجد قبة الصخرة رابطاً هذا البناء بعملية الحكم والخلافة موجداً كذلك رابطاً بين السلطة والمجتمع؛ لأن ابن الزبير كان يأخذهم بالبيعة، فقد أشار بالقول: «منع عبد الملك أهل

الشام من الحج، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، وقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام⁽¹³⁴⁾. كما أشار ابن خلكان لهذا الأمر بالقول: «فلما ولي عبد الملك منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير: فضج الناس فبنى عبد الملك في بيت المقدس الصخرة⁽¹³⁵⁾. والحقيقة أن أمر التسوية هذا في بناء المسجد لا نميل إليه لعدة أسباب، أهمها أن الكثير من المؤرخين الثقات والمتزامنين مع اليعقوبي لم يذكروا أية إشارة لهذا الأمر كابن سلام والبلاذري وابن زنجويه والطبري وإن كان خضوع بعض المتأخرين لوجهة نظر اليعقوبي قد يشوبها عدم نظرهم لميوله وتعاطفه مع العلويين، حتى إن بعض المستشرقين ومنهم كويتاين⁽¹³⁶⁾ رفض رواية اليعقوبي واعتبرها غير موثوق بها استناداً لميوله هذه.

ومسجد قبة الصخرة يقع في وسط فناء واسع طوله من الشمال للجنوب 229 ذراعاً (115) م، وعرضه من الشرق للغرب (223.5) ذراعاً (111.75) م، ويرتفع 12 قدماً من الجهات الأربع⁽¹³⁷⁾ (سبعة أذرع) وبناء المسجد ثماني الشكل وفي كل واجهة من الأضلاع الثمانية سبع نوافذ ماعدا الأضلاع الأربعة على الجهات الأربع، ففي كل واحدة منها أربع نوافذ، والمسجد من الداخل مؤلف من جدران المسجد وأعمدة حاملة للقبة، يرتكز عليها السقف. ومسجد قبة الصخرة أربعة أبواب مزدوجة من الخشب ومصفحة بالرخام، ويعرف الباب الشرقي فيه باب إسرافيل والغربي باب القطنين والشمالي باب الجنة، أما الجنوب فهو المقابل للمسجد الأقصى، والقبة مستديرة الشكل قطرها (20.44م) وارتفاعها (20.48م)، وهي مرفوعة على 12 عموداً من الرخام، ويعد مسجد قبة الصخرة أقدم أثر معماري عربي إسلامي متكامل، وهو يتفرد عن غيره من المساجد بشكله الثماني الفريد في التصميم والابتكار، حتى اعتبره الكثيرون أعظم المباني الأثرية لما فيه من الزخرفة المتناسقة المتزنة⁽¹³⁸⁾. وذكر القزويني - ت682هـ - أن صحن المسجد طويل عريض، طوله أكثر من عرضه، مبني على أعمدة الرخام الملونة، والفسيفساء وفي صحن المسجد مصطبة كبيرة في ارتفاع خمسة أذرع، يصعد إليه من عدة مواضع بالدرج، وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة مثمثة على أعمدة رخام

مسقفة برصاص، منمقة من الداخل والخارج بالفسيفساء، مطبقة بالرخام الملون، وفي وسطها الصخرة التي تزار، وعلى طرفها أثر قدم النبي - عليه السلام - وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج يصلى فيها. ولهذه القبة أربعة أبواب، وفي شريقها خارج القبة قبة أخرى على أعمدة حسنة، يقال إنها قبة السلسلة وقبة المعراج أيضاً على المصطبة، وكذلك قبة النبي، عليه السلام. كل ذلك على أعمدة مطبقة أعلاها بالرصاص، وإن طول قبة الصخرة كان اثني عشر ميلاً في السماء، وكان على رأسها ياقوتة حمراء⁽¹³⁹⁾، أما المسجد فطوله سبعمائة وأربعة وثمانون ذراعاً، وعرضه أربعمائة وخمسة وخمسون ذراعاً، وعدة ما فيه من العمد ستمائة وأربعة وثمانون، وداخل الصخرة ثلاثون عموداً، وقبة الصخرة ملبسة بصفائح الرصاص، عليها ثلاثة آلاف صفيحة واثنتان وتسعون، ومن فوق ذلك الصفائح النحاس مطلية بالذهب، وفي سقوف المسجد أربعة آلاف خشبة، وعلى السقوف خمسة وأربعون ألف صفيحة رصاص⁽¹⁴⁰⁾.

والحقيقة أن أول من فكر في حماية الصخرة كان عمر بن الخطاب حتى جاء عبد الملك بن مروان، فرأى أنه لا بد أن يتم صيانة الصخرة والمحافظة عليها بما يليق ويتناسب معها، وأن يكون المسجد المقام عليها عملاً فنياً معمارياً يتناسب مع ما للصخرة في قلوب المسلمين من مقام، غير أنه في الكثير من الأحيان تعرض مسجد قبة الصخرة للكثير من المغالطات فقد سماه الأوروبيون مسجد عمر، ويؤيد هذا الاتجاه ما ذكره المؤرخون من أن مسجد الخليفة عمر بن الخطاب كان في موضع الصخرة لكن من الواضح أن المسجد الذي أقامه عبد الملك بن مروان من المحتمل أن يكون دخل به مسجد عمر القديم، وبعد ذلك تم بناء المسجد الأقصى الكبير وهو ما تؤيده ونمى إليه⁽¹⁴¹⁾، حتى إن المقرئزي - ت 845 - يذكر «فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة في حرم الأقصى⁽¹⁴²⁾».

والواقع، أن تولي عبد الملك لبناء المسجد ترتب عليه قيام علاقة وثيقة بينه وبين المدينة، فلا شك أن الخليفة اهتم كثيراً بعملية البناء ومحاولة الخروج به في أفضل وأحسن صورة، ويؤكد ذلك حضوره إلى القدس وتفكيره في كيفية بناء المسجد، وأن تكون قبه غطاء يقى المصلين الحر والبرد، ولم يكن عبد الملك بن مروان لياشر هذه العملية التي يعلم أنها تحتاج لرصد الكثير من الأموال دون الرجوع إلى قواده ومستشاريه وعماله

في بقية البلدان خاصة وهو يعلم أن بناء مسجد كهذا فوقه قبة عالية وكبيرة تحتاج لوقت وجهد كبيرين وتميز عمراني، لذا نراه وفي سابقة إدارية مهمة يرسل للعديد من الأمصار يستشيرهم في ما عزم عليه، راصداً خراج مصر لمدة سبعة أعوام حتى أتم بناءه، فيذكر ابن كثير «لما أراد عبدالمملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال، ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس، وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة، وأمر رجاء بن حيوة ويزيد أن يفرغا الأموال ولا يتوقفا فيه، فبثوا النفقات وأكثروا، فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء»⁽¹⁴³⁾.

المسجد الأقصى المبارك

بدأ بناء المسجد الأقصى المبارك في عام 74هـ وهو يعرف بالمسجد الكبير مجاوراً لمسجد قبة الصخرة ويبلغ طول المسجد الكبير نحو الثمانين متراً في حين يبلغ عرضه نحو خمسة وخمسين متراً يقوم على ثلاثة وخمسين عموداً من الرخام، بينها تسع وأربعون سارية، ارتفاع كل منها خمسة أمتار، ويقع المسجد على بعد خمسمائة متر تقريباً من الجنوب من مسجد الصخرة⁽¹⁴⁴⁾، ويشير المقدسي للمسجد الأقصى بالقول: «إنه على قرنه البلد الشرقي نحو القبلة، طول الحجر عشرة أذرع وأقل منقوشة موجهة مؤلفة صلبة، وقد بنى عليه عبدالمملك بحجارة صغار حسان وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق»⁽¹⁴⁵⁾. وهو قول ياقوت الحموي كذلك⁽¹⁴⁶⁾، كما يشير ابن خلدون «في سنة خمس وستين زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم»⁽¹⁴⁷⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن المآذن والمحاريب التي أقيمت في المسجد إبان العصر الأموي تعتبر أقدم ما عرفته بلاد الشام وفلسطين من النظم المعمارية في جوامعها خاصة أن الأمويين هم أول من استحدث نظام المئذنة، كما أشار البعض إلى أن عبد الملك بن مروان لم يتم بناء المسجد، وإنما أكمله بعده ابنه الوليد خاصة تلك البردية⁽¹⁴⁸⁾ القديمة التي تتحدث عن عملية إكمال الوليد للبناء، وهي رسالة مرسلتة من قبل قررة بن شريك عامل مصر في عهد الوليد من -90 96هـ/ 709-714م تتحدث عن نفقات العمال ومرسلتة لأحد حكام الصعيد آنذاك، ولاشك أن الوليد كان ولوعاً بالبناء والعمران،

فقد كتب إلى والي المدينة يأمره بتسهيل الثنايا وحفر الآبار، كما كتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار كما هدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به، ثم بناه بناءً جديداً، وصفح الكعبة والميزاب والأساطين في مكة وليس من المستبعد أن يكون الوليد بعد أن أتم عبد الملك بناء مسجد قبة الصخرة هو من بني المسجد الأقصى استناداً إلى أن رصد خراج أحد أكبر وأهم البلدان لمدة سبع سنوات قد أعقبه عملية توقف، ومن ثم كان الوليد هو من باشر عملية البناء بعد ذلك في المسجد الأقصى.

والحقيقة أن القدس بكل مقدساتها من مساجد وكنائس ودور للعبادة اكتسبت نوعاً من الاحترام والتعظيم في نفوس خلفاء بني أمية خاصة بعد بناء مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى حتى إن الصفدي يذكر أن سليمان بن عبد الملك هم بالإقامة إبان فترة خلافته في مدينة القدس⁽¹⁴⁹⁾، بل أشار البعض إلى أنه تقبل بيعة الناس وهو على سطح الصخرة، وكان ينوي أن يتخذ القدس مقراً للخلافة⁽¹⁵⁰⁾، كما يذكر ابن منظور أن يزيد بن عبد الملك قدم إلى بيت المقدس كذلك دليلاً على تعظيمه لها واهتمامه بها⁽¹⁵¹⁾.

ومما لاشك فيه أن الخلفاء الأمويين - ومن جاء بعدهم⁽¹⁵²⁾ - كانوا على مر حقب تاريخهم المتعاقب قد عنوا بالمدينة المقدسة وظل أمرها سياسياً وإدارياً واجتماعياً واقتصادياً يخضع في الكثير من الأوقات ليد الخليفة مباشرة، ولم تكن المسألة في حد ذاتها بالنسبة لهم مسألة سياسية قدر كونها مسألة دينية لاقت كل عناية ورعاية في ظل كونهم القيادة السياسية والدينية المسؤولة، خاصة أن أي كيان سياسي قام في المدينة المقدسة قبل الفتح الإسلامي لها لم يشهد ما شهدته المدينة من أمن وسلام وحقن للدماء ووفاء بالعهد - بالنظر لما عانت الطوائف التي عاشت فيها من اضطهاد سواء في العهد الفارسي أو اليوناني أو الروماني - خاصة أن الكيان السياسي العارض للبرانيين لم يتجاوز ثلاثة وسبعين عاماً أو خمسة وسبعين من بين خمسين قرناً على هذه الأرض وهي مأهولة متحضرة.

وباختصار، فإنه ما من حقبة في تاريخ الأمويين إلا وكان لهم فيها دلالة في التجديد والاهتمام والبناء والتطوير والتحديث في المدينة المقدسة، فالقدس دوماً وعلى مر الحقب التاريخية تثير في نفوس كل من تعاقب على حكمها مشاعر تمتزج ما بين

التطلع الروحي ورغبة التملك والاستحواذ، لذا نجد أن المدينة ظلت في أغلب عهود وعصور الإسلام بكل أبنيتها ومنشآتها ترفل في أوج عظمتها وقوتها وقمة احترامها، ولم يأت هذا من فراغ وإنما انطلق من عمق المفهوم الديني الإسلامي واحترام وتقدير مبادئ الإسلام والديانات السماوية، وهي - بلا شك - لم تتوافر في أي حقبة من الحقبة التي مرت على مدينة القدس منذ نشأتها وحتى ضياعها في العصر الحديث، والتاريخ يشهد على ذلك.

خاتمة

تعددت الدراسات التي تعنى بالقدس وأهميتها التاريخية في جميع العصور سواء من جانب المؤرخين العرب أو المؤرخين الغربيين والمستشرقين، ولا غرو في ذلك، فالقدس تعتبر مركزاً روحياً لكل أصحاب الديانات الثلاث.

وفي العصر الحديث شملت الدراسات العربية التي تعنى بالقدس، أزلية عروبته وتاريخها العربي القديم الممتد حتى قبل الميلاد.

وعلى الرغم من قيمة هذه الدراسات التي تبرز أهمية القدس ومكانتها وتاريخها، فإن بعض الأجزاء من تاريخها في العصر الأموي لم يعطيا الأهمية التاريخية خاصة التقسيمات الإدارية والولاية والقضاء وغير ذلك من الأمور، ويبدو أن ذلك راجع لندرة المعلومات المتاحة في المصادر الإسلامية، بالإضافة إلى تشتت تلك المعلومات في العديد والمتنوع من المصادر الإسلامية؛ ككتب الطبقات والتراجم والتاريخ والبلدان وكتب الحديث والقضاء والأحكام والأنساب والأدب وغيرها.

ومن هنا، جاءت هذه الدراسة لتحاول أن تبين جزءاً من ملامح في التاريخ الإسلامي عامة والتاريخ الأموي خاصة، وذلك بإلقاء الضوء على وضع المدينة وقدسيتها ومكانتها في العصر الأموي.

وهي بذلك تحاول أن تبين ملامح الوضع العام للقدس منذ الفتح الإسلامي وارتباطها سياسياً وروحانياً بالتطورات المختلفة التي شهدتها الدولة الأموية خاصة محاولة ربطها بمستوى الأحداث الكبرى في الحجاز بالمدينتين المقدستين؛ المدينة ومكة.

وقد بدأت الدراسة بتمهيد يتناول وضع القدس وأهميتها ونبذة تاريخية عنها والفتح الإسلامي لها وأهم العهود التي أعطيت لها.

وتناول محتوى الدراسة وضع القدس ومكانتها التاريخية وبعض الأمور الإدارية والتقسيمات التي نالتها خلال بعض الفترات من حكم خلفاء بني أمية.

فالفترة الأولى هي الفترة السفينانية، وتبدأ بخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة

41هـ/661م

أما الفترة الثانية فهي الفترة مروانية، وتبدأ بخلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وبناء مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، متناولة كذلك بعض أوجه التشابكات التي كانت القدس طرفاً فيها ووضع الأقليات غير المسلمة وتعامل الخلفاء الأمويين معهم.

ومن هنا، يمكن القول إن المدينة المقدسة ظلت في العهد الأموي امتداداً لتأصيل نظام إسلامي عادل ممتد منذ قيام الدولة الإسلامية، الذي بدأ في عصر النبوة والعصر الراشدي، كما يمكن القول - أيضاً - إن المدينة المقدسة أدت دوراً مهماً في تطوير النظام الإداري والسياسي - وإن كان على استحياء - في العصر الأموي، ليس فقط من حيث كونها كانت مرتكزاً إدارياً وتجارياً للكثير من الحضارات التي تعاقبت عليها بل - أيضاً - من حيث قدسيته ومكانتها الروحية في قلوب متبعي أهم الديانات السماوية.

وهي - على أية حال - محاولة قُصد بها تسليط الضوء على دور قامت به المدينة المقدسة إبان فترة مهمة من التاريخ الإسلامي.

الهوامش والمراجع

- (1) من القُدس وهو الطهارة، والقُدوس هو الله - عز وجل - والقُدس البركة والأرض المقدسة ومنه بيت المقدس، كما أن بيت المقدس تعني البيت المطهر؛ أي المكان الذي يُطهَّر به من الذنوب. راجع محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت711 هـ) : لسان العرب ، ط 1 ، 15، جزء 6، بيروت: دار صادر، 1968م، ص 168.
- (2) إيلياء بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة اسم مدينة بيت المقدس، قيل معناه بيت الله - راجع ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله : معجم البلدان، ج 1، د. ط، بيروت: دار الفكر، 1979م، ص 293.
- (3) صلاح بحيري: جغرافية الأردن، ط 1، عمان: مكتبة الشرق، عمان، 1973م، ص 228 - 229.

- (4) العرب القدماء - من سكان الجزيرة العربية، وقد بقي اسم العموريين متداولاً فترة طويلة من الزمن، وكانت اللغة السائدة آنذاك هي اللغة العمورية (الكنعانية)، ويقول فيليب حتى حول الموضوع: "ما أن حل الألف الثاني قبل الميلاد حتى غدت سوريا الطبيعية عمورية بلغتها وسكانها وممالكها" - ولاشك أن تحديد موطن العموريين يقينا من المشاكل التاريخية التي لا تزال موضع جدال بين علماء الدراسات القديمة، وحاول الكثيرون تحديدها إلا أنها ظلت محل نقاش وجدل بينهم - راجع فيليب حتى: تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان، ج 1، بيروت: مؤسسة فرانكلين، كذلك العموريون من هم وما هي مواطنهم، ألفرد هالدار، تحقيق وترجمة: شوقي شعث، دمشق: ط1، دار الأبجدية للنشر، 1990م .
- (5) حول أصول العموريين ومواطنهم، انظر ألفرد هالدار، ص 13-54.
- (6) اليبوس أحد أولاد كنعان - انظر: حلة، محمد علي، القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل، الرياض: د.ط، د، ن، 2000م، ص 10.
- (7) راجع: محمود أبو طالب، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة أضواء جديدة، عمان: ط1، 1978، ص 118 - 134.
- (8) يعتقد الكثير من المؤرخين أن أصول الكثير من أهل القدس وقراها كنعانيون وأن لغتهم كانت كنعانية وأن البابلية انضمت إليها بعد الفتح البابلي لها وظلت اللغة الرسمية حتى استيلاء الفرس عليها - للمزيد راجع: العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، ط2، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص 12.
- (9) وقد يكون هذا الاسم نسبة إلى سالم (إله السلام) - راجع يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، د.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، دائرة الثقافة بمجموعة التحرير الفلسطينية، سلسلة المدن الفلسطينية، د.ت، ص 14.
- (10) راجع: الأحمد نجيب، تهويد القدس، ط1، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، د.ت، ص 5.
- (11) ويذكر أن البيوسيين استوطنوا مدينة القدس من عام 4000 ق م، وأقاموا في بيوت من الشعر وفي الكهوف الصخرية كذلك - راجع - ربابعة غازي إسماعيل، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ط2، عمان، الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1993م، ص 9.
- (12) قصة مدينة القدس، ص -16 محمد علي حلة، القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل، ص 15.
- (13) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، بيروت: ج9، ط1، قسم 2، 1976م، ص 5.
- (14) الذي يقال إنه أول من خططها وبنى فيها مركزاً للعبادة، وسمّاها سالم - راجع: تاريخ القدس، ص 11.
- (15) أو أدوني بازق - راجع القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 10.
- (16) قصة مدينة القدس، ص 16.
- (17) تاريخ القدس، ص 13.
- (18) تاريخ القدس، ص 13.
- (19) والثابت أن المدينة استعصت على المهاجمين ولم يتمكنوا إلا من أخذ الحصن الذي كان يعرف بحصن صهيون فقط - راجع كامل العسلي، القدس في التاريخ، ص 19.
- (20) لا أن البعض يذكر أنه بعد محاولات موسى دخول فلسطين بعد هجرته من مصر توفي ليقود بني إسرائيل يوشع بن نون ليدخل مدينة أريحا ويهدمها ويقتل من فيها في عام 1260 ق. م إلا أنه لم يستطع دخول القدس، وأشارت المصادر إلى أنهم دخلوها في عام 1000 ق. م تقريباً - راجع: القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 13.
- (21) بلادنا فلسطين، ص 23 - 38.
- (22) تاريخ القدس، ص 15.
- (23) تاريخ القدس، ص 16.

- (24) الذي لم يمتد ملكه أكثر من أربعين عاماً كما يشير ابن الأثير، راجع: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري [ت 630هـ]، الكامل في التاريخ، تحقيق: مكتب التراث، ط4، ج1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1994م، ص 74 - 79.
- (25) القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 15.
- (26) أو بخت نصر أو بختنصر.
- (27) قال أهل التاريخ: كان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ابتداء ملكه بأربع سنين؛ يعني ابتداء تجديده لأن يعقوب هو الذي بناه - للمزيد راجع: القاضي أبو الفضل عياض اليعصبي ت 544هـ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، الحاشية أحمد بن محمد بن محمد الشمسي، ت 873هـ، ط1، ج1، بيروت: دار الفكر، 1988م، ص 91.
- (28) الدينوري، أبو حنيفة (؟ - 281هـ، ؟ - 894م) أحمد بن داود، ويكنى بأبي حنيفة، وُسِّمَ أيضاً عبد الله بن علي العشاب، الأخبار الطوال، تحقيق: عصام محمد الحاج علي، ط1، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م، ص 23.
- (29) ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو البصري [700 - 774] هـ: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، أربعة أجزاء، د.ط، ج1، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1971م، ص 75.
- (30) يذكر ابن الأثير أن اسمه كيرش العلمي، وقد ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية، وفهم عند دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزارييا وغيرهما، فسألوه أن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس، وولى دانيال القضاء وجعل إليه جميع أمره، وأمره أن يقسم ما غنمه بخت نصر من بني إسرائيل عليهم، وأمره بعمارة بيت المقدس - راجع: الكامل في التاريخ، ج1، ص 88.
- (31) القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 15 - كذلك، تاريخ القدس، ص 18.
- (32) تاريخ القدس، ص 25 - كذلك القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 15.
- (33) القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 15 - 16.
- (34) أمين عبد الله محمود، "التوسع الاستعماري العربي وفكرة اليهودية (1798 - 1917)" م دراسات، المجلد الخامس، عدد1، ص 23.
- (35) تاريخ القدس، ص 37.
- (36) ابن هشام [ت 218] هـ، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، د. ط، ج2، بيروت: دار الكنوز الأدبية، د. ت، ص 608.
- (37) أي القائد الكبير الذي يلي الإمبراطور .
- (38) ياسين سويد، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، ط1، ليبيا: دار المنتقى للطباعة والنشر، 1997م، ص 35.
- (39) تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 306.
- (40) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، ص 35.
- (41) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، ص 37.
- (42) تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 306.
- (43) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، ص 35 - 36.
- (44) تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 307.
- (45) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ)، فتوح الشام، ط1، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ص 219.

- (46) فتوح الشام، ج1، ص 221.
- (47) تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 306.
- (48) تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 306.
- (49) فتوح الشام، ج1، ص 219.
- (50) فتوح الشام، ج1، ص 219.
- (51) أبو عبيد، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي [ت224هـ]، الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، ط1، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م، ص 269.
- (52) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق وشرح: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، ج1، ط1، بيروت: منشورات مؤسسة المعارف، 1987م، ص 165.
- (53) الأموال، ج1، ص 409 - كذلك راجع - ابن زنجويه أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الأزدني نسبة إلى أزد شنوءة، النسائي نسبة إلى نسا من بلاد خراسان والمشهور بابن زنجويه، تحقيق: أبو محمد الأسيوطي، ط1، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006م، ص 35.
- (54) فتوح البلدان، ج1، ص 164.
- (55) الكامل في التاريخ، ص -427 كما يذكر ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق أن فتح بيت المقدس كان في 16 هـ - راجع ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج1، ص 81.
- (56) الكامل في التاريخ، ج1، ص 427.
- (57) وقيل: فتحها معاوية - راجع الكامل في التاريخ، ص 427.
- (58) الكامل في التاريخ، ج1، ص 427.
- (59) تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص 307.
- (60) خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، ط1، بيروت: الفكر للطباعة والنشر، 1993م، ص 26.
- (61) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص 183.
- (62) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح [ت284 أو 292] هـ، تاريخ اليعقوبي، د.ط، ج1، المجلد الثاني، بيروت: دار بيروت للطباعة، 1970، ص 165.
- (63) راجع تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 325.
- (64) تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 449.
- (65) تاريخ القدس، ص 50.
- (66) الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، عبد العزيز إبراهيم العمري، ج1، ط1، الرياض: ص 93.
- (67) تاريخ خليفة، ص 155.
- (68) تاريخ القدس، ص 50.
- (69) تاريخ القدس، ص 50.
- (70) الشيباني، السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، ج3، المكتب الإسلامي، بيروت: 1400هـ، ص 292.
- (71) ابن عساكر، علي بن حسن بن هبة الله الشافعي (ت 571) هـ، تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: علي عاشور الجنوبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001، ص 93.
- (72) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص 262.
- (73) الشيباني، الأحاد والمتاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط1، ج1، الرياض: دار الراجعية، 1991م، ص 414.

- (74) أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم المعروف بابن الأعرابي (ت 340هـ)، المعجم، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ط 1، ج 5، دار ابن الجوزي، 1997م، ص 219.
- (75) لوران غاسبار، تاريخ فلسطين، منشورات وزارة الدفاع السورية، دمشق، 1969، ص 56.
- (76) تاريخ القدس، ص 51.
- (77) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ص 43.
- (78) راجع إسحاق موسى الحسيني، عروبة بيت المقدس، مركز أبحاث منظمة التحرير، بيروت، 1969، ص 50.
- (79) رجال الإدارة في الدولة الإسلامية العربية، ص 136.
- (80) الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص 191.
- (81) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، ج 3، تحقيق: خيرى سعيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت، ص 143 - وقد بين الذهبي محاولة الاغتيال بالقول: أقبلوا بعد بيعة معاوية بالخلافة حتى قدموا إيلياء، فصلوا من السحر في المسجد، فلما خرج معاوية لصلاة الفجر، كبر، فلما سجد انطح أحدهم على ظهر الحرسى الساجد بينه وبين معاوية حتى طعن معاوية في مآكته - كذلك تاريخ مدينة دمشق، ج 2، ص 159.
- (82) أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، ج 3، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، دار الباز، 1994، ص 235.
- (82) راجع THE Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem - by Oleg Grabar p 33 - 43.
- (84) تاريخ خلافة بني أمية، نبيه عاقل، ص 62.
- (85) إحسان صدقي العمدة، الجذور التاريخية للأسرة الأموية، ص 94.
- (86) تاريخ بلاد الشام الاقتصادي ص 183.
- (87) عبد الفتاح حسن أبو علي، القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، ط 1، الرياض: دار المريخ، 2000، ص 61 - نقلاً عن الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2، ص 90.
- (88) صلاح طهبوب، العصر الأموي، ط 1، عمان: دار أسامة، 2004، ص 208.
- (89) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط 1، ج 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984، ص 256.
- (90) الإمام المنذري، الترغيب والترهيب، ج 4، حققه: مصطفى محمد عمارة، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1969، ص 63.59 حيث يجمع ثمانية عشر حديثاً عن فضائل الشام.
- (91) كان أحد قادة معركة اليرموك وأحد من أسهم في المفاوضات بينه وبين الإمام علي (40-35هـ/ 656-661م).
- (92) بلادنا فلسطين، ج 6، القسم الثاني، في ديار الجليل جند الأردن، ص 26.
- (93) صلاح طهبوب، العصر الأموي، ص 158.
- (94) صلاح طهبوب، العصر الأموي، ص 161.
- (95) سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ العربي والإسلامي، ط 1، بيروت: دار الملتقى، 1197م، ص 13.
- (96) قصة مدينة القدس، ص 29.
- (97) حروب القدس في التاريخ العربي والإسلامي، ص 16.
- (98) صلاح طهبوب، العصر الأموي، ص 17.
- (99) صلاح طهبوب، العصر الأموي، ص 151.
- (100) صلاح طهبوب، العصر الأموي، ص 153.

- 101) صلاح طهبوب، العصر الأموي، ص 179.
- 102) قصة مدينة القدس، ص 22.
- 103) اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، د.ت، ج2، ص 255 - أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، ص 310-315.
- 104) راجع: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 243.
- 105) فروخ، عمر، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ط7، بيروت: دار العلم للملايين، 1986م، ص 144.
- 106) تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، ص 35.
- 107) الناطور، شحاتة، تجديد الدولة الأموية، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (69هـ - 86هـ)، ط1، إربد: دار الكندي، 1996م، ص 217-223.
- 108) إلا بعد القضاء على خلافة عبد الله بن الزبير - شحاتة الناطور، تجديد الدولة الأموية، ص 212.
- 109) تاريخ القدس، ص 51.
- 110) Montgomery watt Islam and the integration of society London 1961 pp 91 -149
- 111) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط1، ج1، بيروت: دار صادر، 1994م، ص 234.
- 112) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص 136.
- 113) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص 164.
- 114) الحارث بن سعيد الكذاب الذي ادعى النبوة بالشام، مولى أبي الجلاس - راجع الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص 72.
- 115) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص 431.
- 116) كان معاوية بن أبي سفيان أول من أدخل نظام البريد في الدولة الإسلامية وقام بتنظيمه.
- 117) إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي، ص 174.
- 118) المصدر نفسه، ص 174.
- 119) المصدر نفسه، ص 176.
- 120) قصة مدينة القدس، يحيى الفرحان، ص 35 - 36.
- 121) العلاقات العربية - البيزنطية في العصر الأموي، ص 142.
- 122) المصدر نفسه، ص 142 نقلاً عن الأمويين والبيزنطيين.
- 123) تاريخ القدس، ص 52.
- 124) العلاقات العربية البيزنطية في العصر الأموي، ص 132.
- 125) تاريخ الشعوب الإسلامية نقلاً عن العلاقات العربية - البيزنطية 140.
- 126) يذكر أن بعض الصحابة كانوا يجتمعون في القدس للتشاور هناك كالأحنف الضحاك بن أنس بن قيس بن معاوية وأبي ذر الغفاري - راجع الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 257.
- 127) قيل هي بيت المقدس نفسه، وقيل موضع قبلته - راجع الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس، ط2، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م، ص 355.
- 128) الإسراء: (1).
- 129) الأنبياء: (71).
- 130) الأنبياء: (81).

- (131) القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، ص 86.
- (132) كان رجاء بن حيوة أحد أهم مستشاري عبد الملك بن مروان وهو من أهل فلسطين - راجع ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج6، ص 140.
- (133) تاريخ القدس، ص 52.
- (134) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص 214.
- (135) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 72.
- (136) The historical back ground of erection on the dome of the rock p 104
- (137) شحادة الناطور، تجديد الدولة الأموية، ص 207.
- (138) كريستي تراث الإسلام (فصل الفنون الفرعية) ج2، ص 7، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، 1936م.
- (139) زكريا بن محمد بن محمود، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري، آثار البلاد وأخبار العباد، جزء بيت المقدس، ص 63.
- (140) القزويني، آثار البلاد، أخبار العباد، ص 63.
- (141) يؤكد هذا الاتجاه كذلك ما ذكره روجيه جارودي بقوله: وكان الخليفة عمر قد شيد مسجداً بسيطاً في عام 637م، وفي هذا الموضع شيد الخليفة الأموي عبد الملك مسجد الصخرة رمز وحدة الأديان - راجع روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أناسي، وميشيل واكيم، دمشق: دار طلاس، 1988م، ص 125.
- (142) المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 273.
- (143) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص 309.
- (144) عبد الفتاح حسن أبو علي، عبد الحليم عويس، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، الرياض: دار المريخ، 1981م، ص 43-44.
- (145) المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1، ص 63.
- (146) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، ص 137.
- (147) تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 226.
- (148) بردية أفروديتو - للمزيد راجع الدباغ، بيت المقدس، ص 122.
- (149) سليمان بن عبد الملك ولي الخلافة سنة ست وتسعين بعد الوليد بالعهد من أبيه - راجع الوافي بالوفيات، ج5، ص 180.
- (150) تاريخ القدس، ص 53.
- (151) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج3، ص 157.
- (152) انظر مقولة وليم الصوري - "بحيث بدوا وكأنهم يعيشون تحت حكم الإمبراطور شارل" - وهو من المؤرخين المشهورين عن العلاقات الطيبة والعدل والتسامح التي لاقتها المدينة وسكانها في ظل الحكم الإسلامي لها - للمزيد راجع مصطفى الخياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجية، المعهد الدبلوماسي الأردني، ط1، الناشر: مكتبة عمان: الأردن، 1994م.